قصة من روائع موباسان :

الغريب . . . !

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

— ١ —

أخذنا بأطراف الحديث والعربة تغادر بنا مدينة « كان » زاخرة براكبيها ، ولم نكد نتجاوز « بار سكن » حتى صاح أحدنا :

— ها هو ذا المكان الذى كانت تذبح فيه الناس !

فإذا بنا نخوض فى أخبار الخرافات ، ونتناول سيرة أولئك القتلة الذين كانوا — فيما مضى — يسلبون الناس أرواحهم وينتصبون أموالهم . فراح كل منا يدلى بما يساوره من قصص ، ويطرح ما يراوده من خواطر ... وطفقت النساء يحملقن مروّعات فى ذلك الظلام الحالك من خلال النوافذ ... يتوجسن خيفة أن تقع أبصارهن على رأس آدمى لدى الباب !

وتأهب أحد الأطباء — وكان يشد رحاله إلى الجنوب كل عام إذا ما بدت تباشير الشتاء — ليلقى فى أسماعنا واحدة من تلك القصص التى يكتنفها الغموض والغرابة :

« لم يسعدنى الحظ يوماً لكى أبلوَ شجاعتى وأقحم جسارتى فى أمر من هذا القبيل ، إنما كنت على معرفة بسيدة قد طواها الموت وكانت ممن أعالجهن ... حدث لها أمر من أغرب الأمور وأشدها حزناً فى هذا الوجود ...

« كانت روسية تدعى « الكونتس ماريا بارتوا » ... وهى امرأة عظيمة ذات حسن ساحر وفتنة باهرة ... وأنتم تدركون كم هن جميلات أولئك الروسيات بأنوثتهن الرقيقة ، وشعورهن الرشوفة ، وعيونهن النجل ، وقدودهن الغضة . وما يبدين من الصلابة والإباء مع فيض من العذوبة والإغراء ... فيهن كل ما يخلب لب الرجل الفرنسى ويثير افتتانه !

« وكانت « الكونتس » فريدة بينهن ، وقد قطن طبيبها منذ سنوات إلى الداء وهو ينهش فى صدرها ، فأخلص لها النصح فى أن تمضى إلى جنوب فرنسا ... بيد أنها أبت أن تبارح « سان بطرسبرج » ، فأنثى الطبيب — فى الخريف الماضى — فأنذر

والأدبى والدينى لا تزال رائعة خصبة .

محمد عبد الحليم أبو زيد

قصص الأطفال الحسابية المصورة :

(تأليف الأستاذ حسن محمد السكرى)

هذه سلسلة جديدة من « كتيبات » صغيرة الحجم عظيمة النفع كبيرة الفائدة توفر على تأليفها الأستاذ حسن محمد السكرى المدرس بمعاهد المعلمين ، وأفرغ فيها الجهد المشكور فجاءت متمشية مع أحدث طرق التربية الحديثة لتعليم مادة الحساب .

ومادة الحساب — لا شك — من المواد الجامدة التى لا يقبل عليها صغار التلاميذ وبخاصة فى المراحل الأولى من التعليم ، وذلك لخلوها من أدوات التشويق والترغيب وجلب انتباه الصغار والأستاذ مؤلف الكتاب وفق كل التوفيق حين جعل مسائله الحسابية قصصاً مصورة ملونة مشوقة تدفع الأطفال وترغبهم فى دراستها كموضوع من موضوعات الطالعة ، وكمسألة من مسائل الحساب فى آن ، وفى ذلك يقول فى تقديم كتابه « حملنى على وضعها ما لمسه من شغف الأطفال بمطالعة القصص ، وما أراه من خير محقق فى الاستفادة بهذا فى تدريبهم أثناء المطالعة على بعض العمليات الحسابية حتى تزدوج الفائدتان العربية والحسابية » ...

وبعد : فإننا نرجى أفضل الشكر للأستاذ المؤلف الذى أخذ على عاتقه القيام بهذا العمل الجليل فى خدمة النشء ، ونرجو أن ينتفع الأبناء بالإقبال على أمثال هذه المؤلفات التى تتوخى الفائدة ، وتستهدف أسمى الأغراض ، وأنبل الغايات

(الزيتونة) هرنان أسعد

زوجها بسوء المصير ، فألح هذا على امرأته أن ترتحل إلى « منتون » في فرنسا .

« فاستقلت القطار — منطوية على نفسها في عربتها — أما حاشيتها فقد أقامت في ناحية أخرى من القطار .

وران عليها الحزن واحتواها الشجن ، وهي جالسة على كثب من الباب تلق بطرفها إلى الحقول والقرى وهي تمر بها في إثر بعضها ، وقد استشعرت ألم الوحدة ، وأحست لذع الوحشة في حياتها وهي عاطلة من أطفال يملؤونها بهجة وبشراً ، وخالية من ذي رحم يحيلها مرحاً وأنساً .. غير زوج ماتت في قلبه عواطف الحب ، ونضبت منه عيون الحنان .. فلم يتورع أن يقذف بها في ركن قصي من العالم دون أن يصحبها كما ينبذون الخادم المريض في معزل عن الخلق !

وكان تابعها « إيفان » يتردد إليها في كل محطة لينظر إن كانت سيدته تروم أي شيء فيؤديه لها ، وكان رجلا كهلا شديد الإخلاص ، مطلق القلب على الطاعة ، سريعاً إلى إنجاز كل أمر تلقى به إليه ...

وفجأة عنّ لها أن تحسب ما قدم لها زوجها — في اللحظة الأخيرة — من النقود الذهبية الفرنسية ، ففتحت حقيبتها الصغيرة ، وأفرغت في حجرها ذلك الفيض الأصفر الرنان !

وعلى حين غرة أصابت وجهها نسمة قارسة من الهواء ، فرفعت رأسها — وقد تولتها الدهشة — تستجلي الأمر ، فإذا بالباب قد فتح ، فلم تملك الكونتس المضطربة سوى أن تطرح غلالتها السمراء على ما في حجرها ، ثم ثبتت مترقبة !

فلم تمض لحظات ، حتى دلف من الباب رجل عاري الرأس ، جريح اليد ، لاهث الأنفاس ، وأغلقه من خلفه ، واستقر في مقعد يأتي إلى جارته بنظرات حادة ، ثم لم يلبث أن لف منديلا حول رسغه المختضب بالدماء !

فأحست السيدة لفرط خوفها أنها تكاد تغيب من وعيها ، فلا مجال للريب في أن هذا الرجل قد لمحها وهي تحسب نقودها ، فلف إلى سلبها ... ثم ... ثم يزهق روحها ! إنه ما برح يحدجها بنظراته الثاقبة ... مضطرب الأنفاس ، مقطب السمات ، يتربص بها الفرص حتى يثب عليها !

قال بغتة : سيدتي ... لا تخافي ولا تجزعي !

فلم تنبس ببنت شفة ، وقد تحجر لسانها ، وطنت أذناها ، وازداد قلبها خفقاناً !

واستطرد فيما يقول : ما أنا بشرير — أيتها السيدة !

فأمسك على سمعها ، ولكن حركت ساقها فجأة — وهي لا تدري — فأخذ الذهب يتدفق إلى الأرض كما يتدفق الماء من الصنبور ... فمكث الرجل يحملق حيناً وقد أخذته الدهشة في ذلك السيل الذهبي ، ثم لم يلبث أن انحنى يلتقطها ويجمعها !

فهبت مروعة ، وألقت بكل ما معها على البساط ، وهمت أن تجرى تروم النجدة وتتوخى النجاة !

ولكن الرجل — وقد أدرك ما هي مقدمة عليه — قفز إليها وأطبق على ذراعها ، ثم دفعها في غلظة إلى حيث كانت تجلس وهو ممسك رسغها ... وراح يقول في صوت مرتعد النبرات : اصغي إلي يا سيدتي ... لست بشرير ، ولا معتد أثيم ... والبرهان على صدق ما أقول أني سأجمع هذا الذهب وأرده عليك لا ينقص دانق ، ولكنك إذا لم تكوني لي عوناً وملاذاً حتى أعبر الحدود ، فما أنا إلا رجل ضائع يساق إلى موته ، ولن أبوح لك بغير ذلك !

ففي خلال ساعة سيمرق بنا القطار من الحدود الروسية ، وحياتي معلقة حينئذ بين يديك رهن بمشيئتك ... ولا يذهب بك الخيال ، وتتوزعك الوساوس ، إلى أني سفكت دماً ، أو سلبت مالا ، أو جئت أمراً يخالف الشرف ويدنس الضمير ... أقسم لك أني لم أجانف إثماً ولم أقارف ذنباً ... ولكن لن أبوح لك بالمزيد !

ثم ركع ثانية ، وراح يجمع الذهب ، حيث انتثر تحت المقاعد وفي ثنايا البساط ، حتى إذا امتلأت الحقيبة به مرة أخرى ، ناولها لجارته في هدوء دون أن تنفرج شفتاه عن كلمة يرددها ... ثم انثنى إلى الركن الآخر من العربة فجلس فيه لا يحرك ساكناً ! ومكثت هي جانحة إلى الصمت وقد لفها السكون ... وما برحت الخشية تراودها من أثر الخوف والرعب ، وإن أفرخ روعها وبدأت نفسها تنزع من الاضطراب ويطمئن قلبها رويداً رويداً !

أما هو ، فقد جلس لا يريم ، ولا يختلج له طرف ، وهو يحدق أمامه ، شاحب الوجه ، تعلوه صفرة كأنها صفرة الموت ... وأخذت هي ترسل إليه — بين الفينة والفينة — نظرات عاجلة تختلسها اختلاساً ، وسرعان ما ترتد عنه ... بدا لها الرجل وفي

الوجه منبسط السمات ، عليه سيماء السيادة والنبل ، قد تجاوز عقده الثالث !

وكان القطار ينساب في سرعة عنيفة خلال الظلمات الطامية ، ويرسل بين آونة وأخرى صفيره الحاد يخرق هدأة الليل بحدته ! ولكن ما لبث أن خفف من سيره — ثم سكنت حركته بعد أن زفر بعض الصفيرات — فلما برز « إيفان » من الباب ، ألقت « الكونتس ماريا » نظرة عجلى على رفيقها ، ثم قالت لخادمها في صوت خافت ونبرة سريعة : « إيفان سوف تعود إلى الكونت ، فما بي حاجة إليك ! »

فحملق فيها الرجل بعينين واسعتين يتراقص فيهما الاضطراب وقد تجلت على وجهه الحيرة ، وارتج على لسانه القول : « ولكن يا سيدتي ! » فأجابته :

— « كلا — لا تصحبني — فقد غيرت من فكري ورجعت عن رأيي — ومن الخير أن تبقى في روسيا — إليك بعض النقود لتعود بها ، وناولني قبعتك وعباءتك ! »

فخلع الخادم في جزع ودهش قبعته وعباءته دون أن ينبس بسؤال يستجلي به الأمر ، فقد عودته التجارب وعلمته الأيام أن يطيع أهواء سادته ويجيب نزواتهم ولو كانت غريبة مبالغة ، ثم ارتد على أعقابه مغرورق العينين بالدموع !

ولم يلبث القطار أن اندفع يطوي الأرض شطر الحدود . فقالت « الكونتس ماريا » لرفيقها : « إن هذه الأشياء لك — أيها السيد — أنت الآن « إيفان » خادمي — ولا أروم إزاء ذلك سوى شرط واحد ، هو ألا تحدثني بكلمة ، ولو كانت تحمل معنى الشكر ! » . فانحنى الرجل في رقة دون أن ينبس ببنت شفة !

ثم عاد القطار إلى الوقوف ثانية ، وصعد إليه نفر من الضباط في أرديتهم الرسمية ، فمدت لهم الكونتس يداً بأوراقها قائلة — وهي تومئ إلى الرجل في مؤخر العربة — :

« ها هو ذا خادمي إيفان وأوراقه هنا ! »

* * *

انطلق القطار في سيره من جديد ، وقد جلس كلاهما غير بعيد من الآخر ، والليل يضمهما ، والصمت يحتويهما ، حتى إذا انسلخ نور الصبح من دياجير الليل ، وقف بهما القطار في محطة ألمانية ، فنهض الرجل المجهول ، وقام إلى الباب قائلا في صوت هادئ رقيق :

— معذرة يا سيدتي إن أخلفت ما كان من وعدي ، بيد أني قد حرمتك من خادمك ، فلا أقل من أن أحل مكانه ، أما تعوزك حاجة ؟ !

فأجابته في فتور : اذهب وادع وصيفتي !

فمضى ثم طواه الخفاء ، ولم يقع عليه طرفها بعد ذلك إلا حينما كانت تتناول غداءها في إحدى المحطات وهو يرمقها من بعيد ، ثم أخيراً في « منتون » حيث استقر بها النوى !

— ٢ —

وثاب الطبيب إلى الصمت هنيهة ، ثم وصل ما انقطع من حديثه قال :

« وذات يوم ، بينما كنت ألتقي مرضاي في عيادتي ، دخل علي شاب فارع القامة وسيم المحيا وسألني في هدوء وسكينة : « أيها الطبيب ، لقد أقبلت متقصياً أخبار الكونتس ماريا بارنوا ! إني من أصدقاء زوجها ، وإن كانت لا تربطني بها معرفة ! »

فأجبته : « لقد أفلت الزمام من يدها ، ولن تطأ أرض روسيا بعد الآن ! »

فإذا بي أرى الرجل يشرق في البكاء ، ثم مضى في سبيله يترنح كمن ذهبت بلبه الخمر ! وقد أخبرت « الكونتس » في المساء بما كان من شأن ذلك الرجل الغريب ، فهزت رأسها وقد لاحت على وجهها سيماء التأثر ... ثم أخبرتني بتلك القصة التي رددتها على أسماعكم لتوي !

ثم أضافت قائلة : « إن هذا الرجل الذي لا أدري عنه شيئاً، يتبعني الآن كظلي ! . ولا أكاد أخرج يوماً حتى ألتقي به ... فينظر إلي في رقة ونبل .. بيد أنه لم يحاول أن يخاطبني أبداً ! .. وران الصمت عليها حيناً ، وهي تحاول أن تجمع شتات فكرها .. ثم قالت : « تعال . . . سأراهنك على أنه قائم تحت النافذة في هذه اللحظة ! . »

وغادرت كرسيها الطويل ، وخطت إلى النافذة . . ثم أزاحت الستار عنها ، وجاءتني أرى ذلك الرجل الذي أتاني في الصبيحة . جالساً على مقعد في الروضة التي أمامنا .. يمد بصره إلى النزل . . فما إن وقع بصره علينا — ونحن في النافذة — حتى نهض من

جلسته ، ومضى فى الطريق لا يلوى على شئ ، حتى غاب عن ناظرينا ! . .

وحينئذ فطنت إلى شئ عجيب يبعث الحزن ويثير الإعجاب . لقد أدركت سر ذلك الحب الصامت الذى توثقت عراه وتمكنت وشائجه بين هذين المخلوقين اللذين جهل كل منهما صاحبه كل الجهل !..

إنه يهيم بها ويعبدها عبادة خالصة ، ويود أن يفديها بحياته . فكان يقبل على فى كل صباح يسألنى : « كيف حالها ؟! . » وهو على يقين من أنى أدرك مدى أحاسيسه ومشاعره . . . ثم ينشج فى نحيب وجزع وقد أسدل على وجهه راحتيه... كلما أحس بأنها تزداد ضعفاً وتشتد نحولاً ... وقد ثقلت عليها وطأة العلة . قالت لى يوماً :

« إنى لم أخاطب ذلك الرجل العجيب سوى مرة واحدة . ولكن يبدو الآن كأنى أعرفه منذ عشرين سنة ... » وحينما التقت به ردت على انحناءته الرقيقة : بابتسامة أضاءت على ثغرها ، وفاضت على صفحة وجهها ! وقد أحست — على رغم خطاها السريعة إلى القبر — أنها سيدة كل السعادة هانئة كل الهناء بذلك الحب الذى يفيضه عليها هذا الإنسان ويغمرها به فى وفاء نبيل وإخلاص شاعرى ... يكاد أن يذهب بنفسه كل مذهب !. ولكنها أبت أن تعرف اسمه ورفضت أن تخاطبه وهى .. تردد : « كلا .. ثم كلا ... أن هذا سوف يمحو تلك الصداقة الغريبة بيننا ... ويفسدها .. ينبغى أن يظل كل منا جاهلاً صاحبه . قريباً إليه بقلبه بعيداً عنه بلسانه ! »

أما هو ، فقد كبت نفسه وراضها على ألا يدنو من صاحبته ... وحزم أمره على أن يفى بعهده الذى قطعه على نفسه فى الغربة وهو ألا يكلمها أبداً ... وقد كانت هى خلال الساعات الطوال التى يشتد فيها الوهن عليها ويضيق صدرها بالحياة . . تنهض عن مقعدها وتسعى إلى النافذة فتزيح ستارها ... حتى تنظر إن كان ثمة تحت النافذة ؟! فإذا اطمأن بصرها إليه وهو جالس على مقعده لا يريم ... انثنت إلى فراشها ، وقد انفرجت شفتاها الذاويتان عن ابتسامة رقيقة !..

وأشرقت عليها الشمس ذات يوم جسداً بلا روح ، وقد طوى الموت صفحة حياتها !. وبينما كنت أهم بمغادرة البيت ... أقبل على الرجل شاحب الوجه زائغ العينين ، وقد نمَّ على محياه أنه لم يرقأها منذ لحظة .. وابتدرنى قائلا فى صوت كله رجاء وتوسل : « كم أود أن أراها ولو لحظة فى حضرتك ! » فأخذته من ذراعه ودلفنا إلى المنزل معاً . فلما بلغنا حيث سجيت السيدة الميتة . ركع إلى جوارها فى خشوع ، وأمسك بيدها فى رفق ، وطبع عليها قبلة طويلة حارة تبللها الدموع ... ثم انقلب على أعقابه ... وانطلق فى سبيله ... وكأنما تجرد من مشاعره وتعطل من أحاسيسه ! . .

وخيم الصمت برهة على الطبيب ! ثم عاد الحديث : « إن هذه الحادثة هى أغرب ما مر بى من الحادثات . بل لعلها الوحيدة التى تظهر لكم الناس ... وما هم عليه من غرابة وجنون !.. » فتمتمت إحدى النساء فى نبرة خفيضة : « لم يكن هذان المخلوقان سادرين فى جنونهما كما تذهب بك الظنون ... بل إنهما كانا ! إنهما كانا !.. »

بيد أنها لم تمض فى عبارتها ... فقد شرقت بالدموع ! ولم يدرك أحد منا ما كانت ترمى إلى قوله ... إذ حولنا دفة الحديث لتهدئ من روعها وتنزل على قلبها السكينة .

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

منطقة شبين الكوم التعليمية

قلم التعليم الحر

« تعلن وزارة المعارف العمومية منطقة شبين الكوم التعليمية عن فقد القسائم البيضاء من رقم ٧٢١٢٩٣ إلى رقم ٧٢١٣٠٠ من الدفتر ٥٨ مدارس حرة المبتدئ برقم ٧٢١٢٠١ والمنتهى برقم ٧٢١٤٠٠ وهذه القسائم من أصل وصورتين من مدرسة الأقباط الابتدائية للبنات بطوخ دلكة وقد اعتبرت هذه القسائم ملغاة فكل من يحاول استعمالها يعرض نفسه للمحاكمة الجنائية » .

١٦٠٤